

للأطفال

الجزء الثاني

تأليف

السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي

« طبع على نفقة الخيِّر الفاضل الشيخ غلام رسول تاجر كلكته »

ملتزم الطبع والنشر

ندوة العلماء بلكنؤ الهند

مطابع

دار الكتاب العربي بمصر

محمد حلمي المنياوي

١٣٧٢ هـ

تصـــدير

بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

بفضل الله وحده تتم الصالحات ، وتكمل الأعمال ، وتتحقق الآمال ، وقد كان من دواعى غبطتى وسرورى أن أقدّم منذ حين إلى قراء العربية الجزء الأول من « قصص النبيين » لأخى الداعية الجليل السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى وكيل ندوة العلماء بالهند ، وهأنذا أسعد مرة ثانية حين أقدّم الجزء الثانى من هذه السلسلة الإسلامية المفيدة ، التى تدل عَلَى ما وهبه الله جل جلاله لأخينا البحاثة الإسلامى من إيمان عميق ، ويقين وثيق ، وغيرة عَلَى الدين صادقة ، ورغبة قوية فى العودة بالناس إلى هدى الله وأدب القرآن المجيد

وإذا كانت هذه السلسلة من قصص الأنبياء قد وُضعت أوّل الأمر لأطفال المسلمين فى الهند ، حتى تربطهم منذ

نشأتهم بدينهم ولغة قرآنهم ، فإنها صالحة كذلك لتوضع بين أيدى الأطفال المسلمين فى سائر الأقطار العربية ، لتمدهم بالغذاء الدينى الروحى العاطفى . الذى يهذب نفوسهم ، ويقوّم أخلاقهم ، ويزودهم بأطيب المتاع : « وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ، وَاتَّقُونِ يا أُولِي الأَلْبَابِ » .

وما أجدر ولاة الأمور فى الأقطار الإسلامية والبلاد العربية أن يقدّروا هذا المجهود الطيب الخالص ، فيشجعوه ويؤيدوه ، بأن يقرروه بين كتب المطالعة والثقافة لناشئتهم ، فإن فى ذلك جمعاً لشباب المسلمين عَلَى مورد ثقافى إسلامى واحد ، وتقريباً بين مجتمعاتهم ونزعاتهم ، وعملا عَلَى تحقيق الوحدة الإسلامية فيما بينهم ، تلك الوحدة التى دعا إليها القرآن ، وباركتها يد الرحمن حين قال : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » . وقال : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا » .

ولست محتاجاً إلى الإفاضة فى الإشادة بما وهب الله لأخينا المفضال السيد أبى الحسن من مواهب يُغبط عليها عند كرام الرجال ، ويحسد عليها عند لئامهم ، فحسبه فخراً أن يوفقه الله فيؤلف كتباً للخاصة ، تعلو وتدق ، وتتسع وتعمق ، وتسير بين القارئين الكبار ، فتشرّق وتغرب ، بعد أن ازدانت بالفكرة السليمة ، والأسلوب الرفيع ، والتحليق السامى ؛ ثم يوفقه الله أيضاً إلى أن يقرّب بعبارته السهلة وبيانه الرقيق أهدافَ القصة القرآنية إلى عقول الناشئة المسلمة ، « ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ العَظِيمِ » .

وأرجو أن يديم الله صاحبُ الفضل والطول عَلَى المؤلف الكريم توفيقَه ، وأن يعزّ به كلمة الإسلام ، وأن ينفعَ بجهوده المسلمين . إنه أكرم مسئول ، وأفضل مأمول

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

« القاهرة »

مقــدّمة

بســم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلامٌ عَلَى عباده الذين اصطفى .

أما بعد : فقد ظهر الجزء الأول من « قصص النبيين للأطفال » وهو يشتمل عَلَى قصّة سيّدنا إبراهيم وقصّة سيدنا يوسف عليهما صلوات الله وسلامه ، فكان الاعتناء به كبيراً تخطى أمل المؤلف ، فقد تلقاه رجال التعليم وأولياء الأطفال بحفاوة وترحيب ونوّهت به المجلاّت الإسلامية فى عبارة قوية ، ونشط الأطفال وتلاميذ المدارس الصغار لقراءته ، ورغبوا فيها رغبةلم يكن المؤلف يترقبها ، وقد قرأنا فى أسارير جباههم الوضّاحة ، وفى ملامح وجوههم النيرة — وهم يقرأون هذا الكتاب — سطورَ السُّرور والنشاط ، وسُرِرنا كثيراً وحمدنا الله لما سمعنا الصغار يحكون قصة سيدنا إبراهيم وسيدنا يوسف ، وقد ذلّت بها ألسنتهم ، وهضمتها عقولهم الصغيرة .

كلُّ ذلك شَجَّعَنا عَلَى التقدُّم فى هذا الطريق ، وحثّنا على إتمام هذه السلسلة ، وها نحن أُولاَء نُتحف الصغار وأولياءهم الكبار بجزء آخر من سلسلة « قصص النبيين للأطفال » مشتملا على قصة نوحٍ وقصة هودٍ وقصّة صالح عليهم السلام .

وفى ثنايا القصص ومطاويها فوائد تفسيرية وتاريخية ، وأجوبة عن أسئلة خفية قد يتناجى بها الضمير .

وعلى المعلمين أن يطالبوا التلاميذ بحكاية هذه القصص ويكلّفوهم تلاوتها واستحضارها وإعادتها ، فقد جرّبنا فى ذلك فائدة كبيرة .

والله المسئول أن ينفع بالكتاب طلبة العربية والناشئة الإسلامية ، ويحبّب إليهم أشخاص الأنبياء وسيَرَهم ، والاقتداء بهم ، وبالله التوفيق .

علي الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

القصة الاولى

سفينة نوح

(١) بعد آدم

بَارَكَ اللهُ فِي ذُرِّيَّةِ آدَمَ فَكَانَ فِيهَا رِجَالٌ كَثِيرٌ وَنِسَاءٌ .

وَانتَشَرَتْ ذُرِّيَّةُ آدَمَ وَكَثُرَتْ .

فَلَوْ رَجَعَ آدَمُ وَرَأَى أَوْلَادَهُ لَمَا عَرَفَ .

وَلَوْ قِيلَ لَهُ : هٰذِهِ ذُرِّيَّتُكَ يَا آدَمُ لَتَعَجَّبَ كَثِيرًا .

وَقَالَ : سُبْحَانَ اللهِ ! هٰؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَوْلَادِي ؟ هٰذِهِ كُلُّهَا ذُرِّيَّتِي ؟ !

وَكَانَتْ لِذُرِّيَّةِ آدَمَ قُرًى كَثِيرَةٌ ، وَبَنَوْا بُيُوتًا كَثِيرَةً .

وَكَانُوا يَحْرُثُونَ الْأَرْضَ وَيَزْرَعُونَ وَيَعِيشُونَ .

وَكَانَ النَّاسُ عَلَى دِينِ أَبِيهِمْ آدَمَ ، يَعْبُدُونَ اللهَ وَلَا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا !

وَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً أَبُوهُمْ آدَمُ وَرَبُّهُمْ اللهُ .

(٢) حسد الشيطان

وَلٰكِنْ كَيْفَ يَرْضَىٰ إِبْلِيسُ وَذرِّيَّتُهُ بِهٰذا ؟ أَلَا يَزَالُ النَّاسُ يعبُدُونَ اللهَ ؟.

أَلَا يَزَالُ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَا يَخْتَلِفُونَ ؟ إِنَّ ذٰلِكَ لَا يَكُونُ ! إِنَّ ذٰلِكَ لَا يكُونُ ! .

هَلْ يَدْخُلُ ذرِّيَّةُ آدَمَ الْجَنَّةَ ، وَيَدْخُلُ إِبْلِيسُ وَذرِّيَّتُهِ النَّارَ ؟

إِنَّ ذٰلِكَ لَا يَكُونُ ، إِنَّ ذٰلِكَ لَا يَكُونُ !

إِنَّهُ لَمْ يَسْجُدْ لِآدَمَ فَطَرَدَهُ اللهُ وَلَعَنَهُ .

أَلَا يَنْتَقِمُ مِنْ بَنِي آدَمَ فَيَدْخُلُوا مَعَهُ النَّارَ ؟

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ ! لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ .

(٣) فكرة الشيطان

وَرَأَىٰ الشَّيْطَانُ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَام فَيَدْخُلُوا النَّارَ وَلَا يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَبدًا .

وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَعْرِفُ أَنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ الشِّرْكَ ، وَيَغْفِرُ كُلَّ شَيْءٍ إِذَا أَرَادَ

فَأَرَادَ الشَّيْطَانُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى الشِّرْكِ ، فَلَا يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَبَدًا .
وَلٰكِنْ كَيْفَ الطَّرِيقُ إِلَى ذٰلِكَ ، وَالنَّاسُ يَعْبُدُونَ اللّٰهَ ؟ .
إِنَّهُ لَوْ ذَهَبَ إِلَى النَّاسِ وَقَالَ لَهُمْ : « أُعْبُدُوا الْأَصْنَامَ وَلَا تَعْبُدُوا اللّٰهَ » لَشَتَمَهُ النَّاسُ وَضَرَبُوهُ .
قَالُوا : مَعَاذَ اللّٰهِ ، أَنُشْرِكُ بِرَبِّنَا ؟ أَنَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ؟ .
إِنَّكَ لَشَيْطَانٌ رَجِيمٌ ! إِنَّكَ لَشَيْطَانٌ خَبِيثٌ !

(٤) حيلة الشيطان

وَلٰكِنَّ الشَّيْطَانَ وَجَدَ بَابًا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَى رُءُوسِ النَّاسِ .
كَانَ رِجَالٌ يَخَافُونَ اللّٰهَ ، وَيَعْبُدُونَهُ لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَيَذْكُرُونَهُ ذِكْرًا كَثِيرًا .
وَكَانُوا يُحِبُّونَ اللّٰهَ ، وَكَانَ اللّٰهُ يُحِبُّهُمْ وَيَسْتَجِيبُ لَهُمْ .
وَكَانَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُمْ وَيُعَظِّمُونَهُمْ ، وَكَانَ الشَّيْطَانُ يَعْرِفُ ذٰلِكَ جَيِّدًا .
وَقَدْ مَاتَ هٰؤُلَاءِ وَانْتَقَلُوا إِلَى رَحْمَةِ اللّٰهِ ! .
ذَهَبَ الشَّيْطَانُ إِلَى النَّاسِ وَذَكَرَ هٰؤُلَاءِ الرِّجَالَ .

وَقَالَ : كَيْفَ كَانَ فِيكُمْ فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ ؟ قَالُوا : سُبْحَانَ اللهِ ! رِجَالُ اللهِ وَأَوْلِيَاؤُهُ ! أُولٰئِكَ إِذَا دَعَوْا أَجَابَهُمْ ، وَإِذَا سَأَلُوا أَعْطَاهُمْ .

(٥) صور الصالحين

قَالَ الشَّيْطَانُ : فَكَيْفَ حُزْنُكُمْ عَلَيْهِمْ ؟

قَالُوا : شَدِيدٌ .

قَالَ : وَكَيْفَ اشْتِيَاقُكُمْ إِلَيْهِمْ ؟

قَالُوا : عَظِيمٌ !

قَالَ : وَلِمَاذَا لَا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ كُلَّ يَوْمٍ ؟

قَالُوا : وَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى ذٰلِكَ وَقَدْ مَاتُوا ؟

قَالَ : اِعْمَلُوا لَهُمْ صُوَراً وَانْظُرُوا إِلَيْهَا كُلَّ صَبَاحٍ .

وَأُعْجِبَ النَّاسُ بِرَأْيِ إِبْلِيسَ وَصَوَّرُوا الصَّالِحِينَ .

وَكَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى هٰذِهِ الصُّوَرِ كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِذَا رَأَوْهَا ذَكَرُوا أُولٰئِكَ الصَّالِحِينَ .

(٦) من الصور إلى التماثيل

وَانْتَقَلُوا مِنَ الصُّوَرِ إلى التَّماثِيلِ .

وَعَمِلُوا لِلصَّالِحِينَ تَماثِيلَ كَثِيرَةً ، وَوَضَعُوها فِي بُيُوتِهِمْ وَفِي مَسَاجِدِهِمْ .

وَكانُوا يَعْبُدُونَ اللهَ لا يُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئاً .

وَكانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ هٰذِهِ تَماثِيلُ لِلصَّالِحِينَ .

وَأَنَّ هٰذِهِ حِجارَةٌ لاَ تَنْفَعُهُمْ وَلاَ تَضُرُّهُمْ وَلاَ تَرْزُقُهُمْ .

وَلٰكِنَّهُمْ كانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِها وَيُعَظِّمُونَها ، لِأَنَّها تَماثِيلُ لِلصَّالِحِينَ .

وَكَثُرَتْ هٰذِهِ التَّماثِيلُ فِيهِمْ ، وَكَثُرَ تَعْظِيمُها .

وَإِذَا مَاتَ فِيهِمْ رَجُلٌ صَالِحٌ عَمِلُوا لَهُ تِمْثالاً وَسَمَّوْهُ بِاسْمِهِ .

(٧) من التماثيل إلى الأصنام

وَمَضَىٰ هٰؤُلاءِ ، وَرَأَىٰ الْأَوْلادُ آباءَهُمْ يَتَبَرَّكُونَ بِها .

وَرَأَوْا آباءَهُمْ يُعَظِّمُونَها تَعْظِيماً شَدِيدًا .

وَكَانُوا يَرَوْنَهُمْ يُقَبِّلُونَ هٰذِهِ التَّمَاثِيلَ ، وَيَلْمَسُونَهَا وَيَدْعُونَ عِنْدَهَا .

وَكَانُوا يَرَوْنَهُمْ يَخْفِضُونَ رُءُوسَهُمْ وَيَرْكَعُونَ عِنْدَهَا .

فَزَادَ الْأَبْنَاءُ عَلَى الآبَاءِ ، وَصَارُوا يَسْجُدُونَ لَهَا .

وَصَارُوا يَسْأَلُونَهَا ، وَيَذْبَحُونَ لَهَا .

وَهٰكَذَا صَارَتْ هٰذِهِ الْأَصْنَامُ آلِهَةً ، وَصَارَ النَّاسُ يَعْبُدُونَهَا كَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ اللهَ مِنْ قَبْلُ .

وَكَثُرَتْ هٰذِهِ الآلِهَةُ فِيهِمْ ، هٰذَا وَدٌّ ، وَذَلِكَ سُوَاعٌ ، وَهٰذَا يَغُوثُ ، وَذَلِكَ يَعُوقُ ، وَهٰذَا نَسْرٌ .

(٨) غضب الله

وَغَضِبَ اللهُ عَلَى النَّاسِ غَضَبًا شَدِيدًا وَلَعَنَهُمْ .

وَلِمَاذَا لاَ يَغْضَبُ اللهُ عَلَى النَّاسِ وَلاَ يَلْعَنُهُمْ ؟

أَلِهٰذَا خَلَقَهُمْ ، أَلِهٰذَا يَرْزُقُهُمْ ؟

يَمْشُونَ عَلَى أَرْضِ اللهِ وَيَكْفُرُونَ بِاللهِ !

وَيَأْكُلُونَ رِزْقَ اللهِ وَيُشْرِكُونَ بِاللهِ !

إِنَّ هٰذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ! إِنَّ هٰذَا لَظُلْمٌ عَظِيمٌ !
غَضِبَ اللهُ عَلَى النَّاسِ ، وَحَبَسَ الْمَطَرَ وَضَيَّقَ عَلَيْهِمْ .
وَقَلَّ الْحَرْثُ وَقَلَّ النَّسْلُ .
وَلٰكِنَّ النَّاسَ مَا عَقَلُوا ، وَلٰكِنَّ النَّاسَ مَا تَابُوا .

(٩) الرسول

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِنْهُمْ يُكَلِّمُهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ .
إِنَّ اللهَ لاَ يُكَلِّمُ وَاحِدًا وَاحِدا ، إِنَّ اللهَ لَا يُخَاطِبُ كُلَّ أَحَدٍ يَقُولُ لَهُ اِفْعَلْ كَذَا ، اِفْعَلْ كَذَا .
إِنَّ الْمُلُوكَ لَا يُكَلِّمُونَ وَاحِداً وَاحِداً .
إِنَّ الْمُلُوكَ لاَ يَذْهَبُونَ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ يَقُولُونَ لَهُ افْعَلْ كَذا ، اِفْعَلْ كَذَا .
وَالْمُلُوكُ بَشَرٌ كَالْبَشَرِ ، يَقْدِرُ كُلُّ أَحَدٍ أَنْ يَرَاهُمْ وَيَسْمَعَ كَلاَمَهُمْ ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَرَى اللهَ وَيَسْمَعَ كَلاَمَهُ وَيُكَلِّمَهُ ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ إِلَّا مَنْ أَرَادَ اللهُ ، إِذَا أَرَادَ اللهُ .

فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَى النَّاسِ رَسُولاً يُكَلِّمُهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ .

(١٠) بشرٌ أم ملك

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَكُونَ هٰذَا الرَّسُولُ بَشَرًا ، وَأَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنَ النَّاسِ ، يَعْرِفُهُ النَّاسُ وَيَفْهَمُونَ كَلَامَهُ .

وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مَلَكاً قَالَ النَّاسُ : مَا لَنَا وَلَهُ ؟ هُوَ مَلَكٌ وَنَحْنُ بَشَرٌ !

نَحْنُ نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ وَلَنَا أَهْلٌ وَذُرِّيَّةٌ فَكَيْفَ نَعْبُدُ اللهَ ؟

وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ بَشَرًا قَالَ أَنَا آكُلُ وَأَشْرَبُ وَلِيَ أَهْلٌ وَذُرِّيَّةٌ وَأَنَا أَعْبُدُ اللهَ فَلِمَ لَا تَعْبُدُونَ اللهَ ؟

وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مَلَكاً قَالَ النَّاسُ : إِنَّكَ لَا تَعْطَشُ وَلَا تَجُوعُ ، وَإِنَّكَ لَا تَمْرَضُ وَلَا تَمُوتُ فَتَعْبُدُ اللهَ وَتَذْكُرُهُ دَائِمًا !

وَنَحْنُ بَشَرٌ نَعْطَشُ وَنَجُوعُ ، وَنَمْرَضُ وَنَمُوتُ ، فَكَيْفَ

نَعْبُدُ اللّٰهَ وَنَذْكُرُهُ دَائِمًا ؟

وَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ بَشَرًا قَالَ أَنَا مِثْلُكُمْ أَعْطَشُ وَأَجوع وَأَمْرَضُ وَأَمُوتُ وَأَعْبُدُ اللّٰهَ وَأَذْكُرُهُ ، فَلِمَاذَ لَا تَعْبُدُونَ اللّٰهَ وَلَا تَذْكُرُونَهُ ؟

فَيَنْقَطِعُ كَلامُ النَّاسِ وَلَا يجِدونَ عُذْراً .

(١١) نوح الرسول

وَأَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يُرْسِلَ نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ .

كانَ فِى الْقَوْمِ أَغْنِيَاء وَرؤَسَاء ، وَلٰكِنَّ اللّٰهَ اخْتَارَ نُوحًا لِرِسَالَتِهِ ، وَلَمْ يَخْتَرْ أَحَداً مِنْهُمْ .

اللّٰهُ يَعْلَمُ مَنْ يَحْمِلُ رِسَالَتَهُ ، وَاللّٰهُ يعْلَمُ مَنْ يَحْمِلُ أَمَانَتَهُ .

وَكَانَ نُوحٌ رَجُلاً صَالِحًا كَرِيمًا ، وَكَانَ نُوحٌ رَجُلا عَاقِلاً حَلِيمًا .

وَكَانَ نُوحٌ نَاصِحًا شَفِيقًا ، وَكَانَ نُوحٌ صَادِقًا أَمِينًا .

إِخْتَارَ اللّٰهُ نُوحًا لِرِسَالَتِهِ وَأَوْحَى إِلَيْهِ : « أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » .

فَقَامَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ يَقُولُ لِلنَّاسِ : « إِنِّى لَـكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ » .

(١٢) ماذا أجابه القوم ؟

وَلَمَّا قَامَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ يَقُولُ : « إِنِّى لَـكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ » . قَامَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُونَ : مَتَى صَارَ هٰذَا نَبِيًّا ؟ بِالْأَمْسِ كَانَ رَجُلاً مِنَّا وَالْيَوْمَ يَقُولُ أَنَا رَسُولُ اللهِ إِلَيْـكُمْ !

وَقَالَ أَصْدِقَاءُ نُوحٍ : هٰذَا كَانَ يَلْعَبُ مَعَنَا فِي الصِّغَرِ وَيَجْلِسُ مَعَنَا كُلَّ يَوْمٍ فَمَتَى جَاءَتْهُ النُّبُوَّةُ ؟ أَلَيْلاً أَمْ نَهَاراً ! . . .

وَقَالَ الْأَغْنِيَاءُ وَالْمُتَـكَبِّرُونَ : أَمَا وَجَدَ اللهُ أَحَداً غَيْرَهُ ؟ أَمَاتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، أَمَا وَجَدَ فِي الْقَوْمِ إِلَّا فَقِيراً ؟

وَقَالَ الْجُهَّالُ : « مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُـكُمْ » .

وَقَالُوا : « لَوْ شَاءَ اللهُ لَأَنْزَلَ مَلٰئِـكَةً مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ » .

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ إِنَّ نُوحًا يُرِيدُ أَن يَنَالَ الرِّيَاسَةَ وَالشرف بِهٰذَا الطَّرِيقِ .

(١٣) بين نوح وقومه

كَانَ النَّاسُ يَرَوْنَ أَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ هُوَ الْحَقُّ ، وَأَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ هُوَ الْعَقْلُ .

وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الَّذِي لَا يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ هُوَ فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ .

وَكَانُوا يَقُولُونَ : قَدْ كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ فَلِمَاذَا لَا يَعْبُدُهَا هٰذَا ؟ .

وَكَانَ نُوحٌ يَرَى أَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ضَلَالَةٌ ، وَأَنَّ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ سَفَاهَةٌ .

وَكَانَ نُوحٌ يَرَى أَنَّ الْآبَاءَ كَانُوا فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ .

وَأَنَّ آدَمَ وَهُوَ أَبُو الْآبَاءِ مَا كَانَ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ ، بَلْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ .

وَأَنَّ الْقَوْمَ فِي ضَلَالَةٍ وَسَفَاهَةٍ إِذْ يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ وَلَا يَعْبُدُونَ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ .

قَامَ نُوحٌ فِي الْقَوْمِ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : « يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » « قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ » .

« قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَّبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ » .

(١٤) اتبعك الأرذلون

وَاجْتَهَدَ نُوحٌ كَثِيراً أَنْ يُؤْمِنَ قَوْمُهُ وَيَعْبُدُوا اللهَ وَيَتْرُكُوا الأَصْنَامَ .

وَلَٰكِنْ مَا آمَنَ بِنُوحٍ إِلَّا بَعْضُ الْأَفْرَادِ مِنْ قَوْمِهِ . مَا آمَنَ بِهِ إِلَّا بَعْضُ الْأَفْرَادِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِأَيْدِيهِمْ وَيَأْكُلُونَ الْحَلَالَ .

أَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَدْ مَنَعَهُمْ كِبْرُهُمْ أَنْ يُطِيعُوا نُوحًا . وَشَغَلَتْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ أَنْ يُفَكِّرُوا فِي الآخِرَةِ . وَكَانُوا يَقُولُونَ : نَحْنُ أَشْرَافٌ وَهَؤُلَاءِ أَرَاذِلُ .

وَلَمَّا دَعَاهُمْ نُوحٌ إِلَى اللهِ قَالُوا :

« أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ » ؟

وَطَلَبُوا مِنْ نُوحٍ أَنْ يَطْرُدَ هَؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ .

وَلٰــكِنَّ نُوحًا أَبَىٰ وَقَالَ : « مَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ » ، إِنَّ بَابِي لَيْسَ بابَ مَلِكٍ ، « إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ » .

وَكَانَ نُوحٌ يَعْرِفُ أَنَّ هٰؤُلَاءِ الْمَسَاكِينَ مُؤْمِنُونَ مُخْلِصُون وَأَنَّ اللّٰهَ يَغْضَبُ إِذَا طَرَدَ هٰؤُلاءِ الْمَسَاكِينَ ، وَإِذَنْ لَا يَنْصُرُهُ أَحَدٌ .

فَقَالَ نُوحٌ : « يٰقَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللّٰهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ » .

(١٥) حجة الأغنياء

وَقَالَ الْأَغْنِيَاءُ : الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ نُوحٌ لَيْسَ بِحَقٍّ وَلَيْسَ بِخَيْرٍ .

لِمَاذَا ؟ .

لِأَنَّا جَرَّبْنَا أَنَّا نَحْنُ السَّابِقُونَ فِي كُلِّ خَيْرٍ .

لَنَا كُلُّ طَيِّبٍ مِنَ الطَّعَامِ ، وَلَنَا كُلُّ جَمِيلٍ مِنَ اللِّبَاسِ .

وَالنَّاسُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَنَا تَبَعٌ .

وَإِنَّا رَأَيْنَا أَنَّ الْخَيْرَ لَا يُخْطِئُنَا وَلَا يُجَاوِزُنَا فِي الْمَدِينَةِ .

فَلَوْ كَانَ هٰذَا الدِّينُ خَيْرًا لَأَتَانَا قَبْلَ هٰؤُلَاءِ الْمَسَاكِين .

« لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ » .

(١٦) دعوة نوح

وَدَعَا نُوحٌ قَوْمَهُ ، وَاجْتَهَدَ فِي النَّصِيحَةِ .

« قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ، أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ، يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » وَكَانَ اللَّهُ حَبَسَ عَنْهُمُ الْمَطَرَ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ وَقَلَّ الْحَرْثُ وَقَلَّ النَّسْلُ .

فَقَالَ نُوحٌ : يَٰقَوْمِ إِنْ آمَنْتُمْ رَضِيَ عَنْكُمُ اللَّهُ وَزَالَ هَٰذَا الْعَذَابُ .

وَأَرْسَلَ عَلَيْكُمُ الْأَمْطَارَ وَبَارَكَ لَكُمْ فِي الرِّزْقِ وَالْأَوْلَادِ .

وَدَعَا نُوحٌ قَوْمَهُ إِلَى اللَّهِ وَقَالَ لَهُمْ : أَلَا تَعْرِفُونَ اللَّهَ ؟ .

هَٰذِهِ آيَاتُ اللَّهِ حَوْلَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ؟ .

مَنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ ؟ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ؟ .

وَمَنْ خَلَقَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ؟

وَلٰكِنَّ قَوْمَ نُوحٍ لَمْ يَعْقِلُوا ! وَلٰكِنَّ قَوْمَ نُوحٍ لَمْ يُؤْمِنُوا !

بَلْ إِذَا دَعَاهُمْ نُوحٌ إِلَى اللهِ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ .

وَكَيْفَ يَفْهَمُ مَنْ لَا يَسْمَعُ ؟ وَكَيْفَ يَسْمَعُ مَنْ لَا يُرِيدُ أَنْ يَسْمَعَ ؟ .

(١٧) دعاء نوح

وَاجْتَهَدَ نُوحٌ كَثِيرًا وَبَقِيَ يَدْعُو قَوْمَهُ زَمَنًا طَوِيلاً .

مَكَثَ نُوحٌ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ .

وَلٰكِنَّ قَوْمَ نُوحٍ لَمْ يُؤْمِنُوا .

وَلَمْ يَتْرُكُوا عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ ، وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى اللهِ .

فَإِلَى مَتَى يَنْتَظِرُ نُوحٌ ؟ إِلَى مَتَى يَرَى فَسَادَ الْأَرْضِ ؟ .

إِلَى مَتَى يَرَى الْحِجَارَةَ تُعْبَدُ ؟

إِلَى مَتَى يَرَى النَّاسَ يَأْكُلُونَ رِزْقَ اللهِ وَيَعْبُدُونَ غَيْرَهُ ؟

لِمَاذَا لَا يَغْضَبُ نُوحٌ ؟ إِنَّهُ صَبَرَ صَبْرًا لَمْ يَصْبِرْ أَحَدٌ مِثْلَهُ ! .

أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً اللهُ أَكْبَرُ ، اللهُ أَكْبَرُ .

وَقَدْ أَوْحَى اللهُ إِلَى نُوحٍ : « إِنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ » .

وَقَالَ قَوْمُ نُوحٍ لَمَّا دَعَاهُمْ نُوحٌ مَرَّةً أُخْرَى .

« يا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » .

وَغَضِبَ نُوحٌ لِلهِ وَيَئِسَ مِنْ هٰؤُلَاءِ وَقَالَ : اللّٰهُمَّ لَا تَتْرُكْ عَلَى الْأَرْضِ أَحَداً مِنَ الْكَافِرِينَ .

(١٨) السفينة

وَأَجَابَ اللهُ دَعْوَةَ نُوحٍ وَأَرَادَ أَنْ يُغْرِقَ قَوْمَهُ .

وَلٰكِنَّ اللهَ يُرِيدُ كَذَلِكَ أَنْ يَنْجُوَ نُوحٌ وَالْمُؤْمِنُونَ .

فَأَمَرَ نُوحاً أَنْ يَصْنَعَ سَفِينَةً كَبِيرَةً .

وَبَدَأَ نُوحٌ يَصْنَعُ سَفِينَةً كَبِيرَةً .

وَرَآهُ قَوْمُهُ فِي هٰذَا الشُّغْلِ فَوَجَدُوا شُغْلاً .

وَصَارُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ .

مَا هٰذَا يَا نُوحُ ؟ مِنْ مَتَى صِرْتَ نَجَّارًا ؟
أَمَا كُنَّا نَقُولُ لَكَ لَا تَجْلِسْ إِلَى هٰؤُلَاءِ الْأَرَاذِلِ .
وَلٰكِنَّكَ مَا سَمِعْتَ كَلَامَنَا وَجَلَسْتَ إِلَى النَّجَّارِينَ وَالْحَدَّادِينَ فَصِرْتَ نَجَّارًا !
وَأَيْنَ تَمْشِي هٰذِهِ السَّفِينَةُ يَا نُوحُ ؟ إِنَّ أَمْرَكَ كُلَّهُ عَجَبٌ أَتَمْشِي هٰذِهِ فِي الرَّمْلِ أَمْ تَصْعَدُ الْجَبَلَ ؟
الْبَحْرُ مِنْ هُنَا بَعِيدٌ جِدًّا ، هَلْ يَحْمِلُهَا الْجِنُّ أَمْ تَجُرُّهَا الثِّيرَانُ ؟
وَكَانَ نُوحٌ يَسْمَعُ كُلَّ ذٰلِكَ وَيَصْبِرُ ، وَقَدْ سَمِعَ أَشَدَّ مِنْ هٰذَا فَصَبَرَ !
وَلٰكِنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ أَحْيَانًا : « إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ » .

(١٩) الطُّوفَانُ

وَجَاءَ وَعْدُ اللهِ فَالْعِيَاذُ بِاللهِ !
أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ وَأَمْطَرَتْ وَأَمْطَرَتْ . .

حَتَّى كَأَنَّ السَّمَاءَ مُنْخَلَةٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً .
وَنَبَعَ الْمَاءُ وَسَالَ وَسَالَ حَتَّى أَحَاطَ بِالنَّاسِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .
وَأَوْحَى اللهُ إِلَى نُوحٍ : خُذْ مَعَكَ مَنْ آمَنَ بِكَ مِنْ قَوْمِكَ وَأَهْلِكَ
وَأَوْحَى اللهُ إِلَى نُوحٍ أَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ مِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ وَطَائِرٍ زَوْجًا ، ذَكَرًا وَأُنْثَى
لِأَنَّ الطُّوفَانَ عَامٌّ لَا يَنْجُو مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا حَيَوَانٌ .
وَكَذٰلِكَ فَعَلَ نُوحٌ ، فَكَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ .
وَمِنْ كُلِّ حَيَوَانٍ وَطَائِرٍ زَوْجٌ
وَسَارَتِ السَّفِينَةُ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ .
وَارْتَقَى الْقَوْمُ كُلَّ مَكَانٍ عَالٍ وَكُلَّ رَبْوَةٍ يَفِرُّونَ مِنْ عَذَابِ اللهِ .
وَلٰكِنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ .

(٢٠) ابن نوحٍ

وَكَانَ لِنُوحٍ ابْنٌ كَانَ مَعَ الْكَافِرِينَ .
وَرَأَى نُوحٌ ابْنَهُ فِى الطُّوفَانِ فَقَالَ : « يٰبُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلاَ تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ » .
« قَالَ سَآوِى إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَاءِ » .
« قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ » .
« وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ » .
وَحَزِنَ نُوحٌ عَلَى ابْنِهِ ، وَكَيْفَ لاَ يَحْزَنُ وَهُوَ ابْنُهُ .
وَأَرَادَ أَنْ يَنْجُوَ ابْنُهُ مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذْ لَمْ يَنْجُ مِنَ الْمَاءِ أَمْسِ .
إِنَّ النَّارَ أَشَدُّ مِنَ الْمَاءِ ، وَإِنَّ عَذَابَ الآخِرَةِ أَشَقُّ .
أَمَا وَعَدَهُ اللهُ أَنَّهُ يُنْجِى أَهْلَهُ ؟ بَلَى ! إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ .
فَأَرَادَ أَنْ يَشْفَعَ لابْنِهِ عِنْدَ اللهِ .

(٢١) ليسَ من أهلكَ

« وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ : إِنَّ ابْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ

الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ » .

وَلَـٰكِنَّ اللهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى الْأَنْسَابِ بَلْ يَنْظُرُ إِلَى الْأَعْمَالِ .

وَاللهُ لاَ يَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ فِى الْمُشْرِكِينَ .

وَلَيْسَ الْمُشْرِكُ مِنْ أَهْلِ النَّبِيِّ وَإِنْ كَانَ ابْنَهُ .

فَنَبَّهَ اللهُ نُوحاً عَلَى ذَلِكَ وَقَالَ : « يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلاَ تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّى أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ » .

وَتَنَبَّهَ نُوحٌ وَتَابَ إِلَى اللهِ وَقَالَ :

« رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْئَلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِى أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ » .

(٢٢) بعد الطوفان

وَلَمَّا كَانَ مَا أَرَادَهُ اللهُ وَغَرِقَ الْكُفَّارُ أَمْسَكَتِ السَّمَاءُ وَغَارَ الْمَاءُ .

وَاسْتَوَتْ السَّفِينَةُ عَلَى جَبَلِ الْجُودِيِّ « وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

وَقِيلَ يا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ .

وَهَبَطَ نوحٌ وَأَصْحَابُ السَّفِينَةِ يَمْشُونَ عَلَى الْبَرِّ بِسَلَامٍ .

وَهَلَكَ الكُفَّارُ مِنْ قَوْمِ نوحٍ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السماء وَالْأَرْضُ .

وَبَارَكَ اللهُ فِى ذُرِّيَّةِ نوحٍ فَانْتَشَرَتْ فِى الْأَرْضِ وَمَلَأَتِ الْارْضَ .

وَكَانَ فِيهَا أُمَمٌ وَكَانَ فِيهَا أَنْبِيَاء وَمُلُوكٌ .

« سلام عَلَى نوح فى العالمين »

« سلام عَلَى نوح فى العالمين »

القصة الثانية

العـــاصفة

(١) بَعْدَ نُوح

بارَكَ اللهُ فِى ذُرِّيةِ نُوحٍ فَانْتَشَرَتْ فى الْأَرْضِ .

وَكانَ مِنْها أُمَّةٌ يُقالُ لها عادٌ .

وَكانُوا رِجالاً أقْوِياءَ ، أجْسامُهُمْ كَأَنَّها مِنْ حَدِيدٍ .

يَغْلِبُونَ كلَّ واحِدٍ وَلا يَغْلِبُهُمْ أحَدٌ .

وَلا يَخافُونَ أحداً وَيَخافُهُمْ كلُّ أحَدٍ .

وَبارَكَ اللهُ لِعادٍ فى كلِّ شَىْءٍ ، فَكانَتْ إبِلُ عادٍ وَغَنَمُها تَمْلَأُ الْوادِى .

وَكانَتْ خَيْلُ عادٍ تَمْلَأُ المَيْدانَ .

وَكانَتْ أوْلادُ عادٍ تَمْلَأُ الْبُيُوتَ .

وَإذَا خَرَجَتْ إبِلُ عادٍ وَغَنَمُها إلَى الْمَرْعَى كانَ لها مَنْظَرٌ جَمِيلٌ جِدًّا .

وَإذَا خَرَجَتِ الْخَيْلُ إلَى الْحَرْبِ كانَ لها مَنْظَرٌ جَمِيلٌ جِدًّا .
وَإذَا خَرَجَ الأطْفَالُ فِي الصَّبَاحِ يَلْعَبُونَ كَانَ لَهُمْ مَنْظَرٌ جَمِيلٌ جِدًّا
وَكَانَتْ أَرْضُ عَادٍ كَذٰلِكَ أَرْضًا جَمِيلَةً خَضْرَاءَ ، فِيهَا بَسَاتِينُ
وَعُيُونٌ كَثِيرَةٌ .

(٢) كفران عاد

وَلٰكِنَّ عَادًا لَمْ يَشْكُرُوا اللهَ عَلَى هٰذِهِ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ .
وَنَسِيَتْ عَادٌ قِصَّةَ الطوفانِ الَّتِي سَمِعُوهَا مِنْ آبَائِهِمْ وَرَأَوْا
آثَارَهُ فِي الأَرْضِ .
وَنَسُوا لِمَاذَا أَرْسَلَ اللهُ الطُّوفانَ عَلَى أُمَّةِ نُوحٍ .
وَصَارُوا يَعْبُدُونَ الأَصْنَامَ كما كَانَتْ أُمَّةُ نُوحٍ تَعْبُدُ الأَصْنَامَ .
وَكَانُوا يَنْحِتُونَ الأَصْنَامَ مِنَ الْحِجَارَةِ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَسْجُدُونَ
لَهَا وَيَعْبُدُونَهَا .
وَكَانُوا يَسْأَلُونَهَا حَاجَاتِهِمْ وَيَدْعُونَهَا وَيَذْبَحُونَ لَهَا .
وَكَانُوا عَلَى أَثَرِ أُمَّةِ نُوحٍ .
وَكَانَتْ عُقُولُهُمْ لا تَمْنَعُهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ .

وَكَانَتْ عُقُولُهُمْ لَا تَهْدِيهِمْ .
وَكَانُوا عُقَلَاءَ فِي الدُّنْيَا أَغْبِيَاءَ فِي الدِّينِ .

(٣) عدوان عاد

وَصَارَتْ قُوَّةُ عَادٍ وَبَالاً عَلَيْهِمْ وَعَلَى النَّاسِ .
لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ .
فَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ ؟ وَمَاذَا يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعُدْوَانِ ؟ .
وَلِمَاذَا لَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ ؟ وَهُمْ لَا يَرَوْنَ فَوْقَهُمْ أَحَدًا ،
وَلَا يَخَافُونَ حِسَابًا وَلَا عِقَابًا .
وَكَانُوا كَوُحُوشِ الْغَابَةِ يَظْلِمُ الْكَبِيرُ مِنْهُمُ الصَّغِيرَ ،
وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ .
وَإِذَا غَضِبُوا كَانُوا كَالْفِيلِ الْهَائِجِ ، لَا يَلْقَى شَيْئًا إِلَّا قَتَلَهُ .
وَكَانُوا إِذَا حَارَبُوا قَوْمًا أَهْلَكُوا الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ .
وَإِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً .
وَكَانَ الضُّعَفَاءُ يَخَافُونَ شَرَّهُمْ ، وَيَفِرُّونَ مِنْ ظُلْمِهِمْ .
وَصَارَتْ قُوَّتُهُمْ وَبَالاً عَلَيْهِمْ وَعَلَى النَّاسِ .

وَ كذَلِكَ كلُّ مَنْ لاَ يَخَافُ اللهَ وَلاَ يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ .

(٤) قصورُ عادٍ

وَكان عَادٌ لاَ شُغْلَ لَهُمْ إلاَّ الأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَاللَّهْوُ وَاللّعِبُ .

وَكانَ بَعْضُهُمْ يَفْخَرُ عَلَى بَعْضٍ فى بِنَاءِ الْقُصُورِ الْعَالِيَةِ وَالْبُيُوتِ الْوَاسِعة .

وَكَانَتْ أَمْوَالُهُمْ تَضِيعُ فى الْمَاءِ وَالطِّينِ وَالْحِجَارَةِ .

وَكَانُوا لاَ يَرَوْنَ مَكاناً خالياً أَوْ أَرْضًا مُرْتَفِعَةً إلاَّ بَنُوا عَلَيْهَا قَصْرًا رَفيعاً

وَكَانُوا يَبْنُونَ بُيُوتاً كَأَنَّمَا يَسْكنُونَ فيهَا دَائماً وَلاَ يَمُوتُونَ أَبداً.

وَكَانوا يَبْنونَ قُصُورًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ وَالنَّاسُ لاَ يَجِدُونَ مَا يَأْكلونَ وَيَلْبَسُونَ .

وَكَانَ الْفُقَرَاءُ مِنْهُمْ لاَ يَجِدُونَ بَيْتًا يَسْكُنُونَ فِيهِ وَ بُيُوتُ الأَغْنِيَاء لاَ سَاكِنَ فِيهَا ، وَمَنْ رآهُمْ وَرَأَى قُصُورَهُمْ عَرَفَ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ .

(٥) هـــود الرّسول

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُرْسِلَ إِلَى عَادٍ رَسُولاً .

إِنّ اللهَ لَا يرْضَى لِعِبَادِهِ الـكُفْرَ ، إِنّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ .

وَكَانَ عَادٌ لا يَسْتَعْمِلُونَ عُقُولَهُمْ إِلّا فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللّهْوِ وَاللّعِبِ وَبِنَاء الْبُيُوتِ .

وَقَدْ فَسَدَتْ عُقُولهُمْ لِأَنّهُمْ لَا يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي الدّينِ .

وَكَانَ عَادٌ عُقَلَاء فِي الدُّنْيَا أَغْبِيَاء فِي الدّينِ ، يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ وَلا يعْقِلُونَ .

فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُرسِلَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً يَهْدِيهِمْ .

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يكُونَ هٰذَا الرّسُولُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، يَعْرِفُونَهُ وَيَفْهَمُونَ كَلامَهُ .

كَانَ هُودٌ ذٰلِكَ الرّسُولَ ، وُلِدَ فِي بَيْتٍ شَرِيفٍ فِي عَادٍ وَنَشَأَ عَلَى عَقْلٍ وَصَلَاحٍ .

(٦) دعوة هود

وقامَ هُودٌ فِي قومِهِ يَدْعُو ويَقُولُ :

« يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إلٰهٍ غَيْرُهُ » .

وقالَ هُودٌ : « يَا قَوْمِ كَيْفَ تَعْبُدُونَ الحِجارةَ ولا تَعْبُدُون الَّذِي خَلَقَكُمْ !؟ .

يَا قَوْمِ هٰذِهِ الحِجارةُ الَّتِي نَحَتُّمُوها أَمْسِ كيفَ تَعْبُدُونَهاالْيَوْمَ إنَّ اللهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ ، وبَارَكَ لَكُمْ فِي الأَمْوَالِ والأَوْلادِ والحَرْثِ والنَّسْلِ .

وَجَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَزَقَكُمْ قُوَّةً في الجِسْمِ كانَ مِنْ حَقِّ هٰذِهِ النِّعَمِ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تَعْبُدُوا غَيْرَهُ إنَّ هٰذَا الكَلْبَ الَّذِي تَرْمُونَ إلَيْهِ بِعَظْمٍ لا يُفَارِقُ بَيْتَكُمْ وَيَتْبَعُكُمْ كالظِّلِّ .

أَفَرَأَيْتُمْ كَلْباً يَتْرُكُ سَيِّدَهُ وَيَذْهَبُ إلَى غَيْرِهِ ؟

أَوَرَأَيْتُمْ حَيَوَاناً يَعْبُدُ حَجَراً ، أَوَرَأَيْتُمْ حَيَوَاناً يَسْجُدُ لِصَنَمٍ ؟

هَلِ الإِنْسَانُ أَذَلُّ مِنَ الحَيَوَانِ ، أَمْ هُوَ أَجَلُّ مِنَ الحَيَوَانِ ؟

(٧) جواب القوم

كانَ الْقَوْمُ فِي شُغُلٍ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ .
وَقَدْ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا .
ضَاقَ قَلْبُهُمْ بِكَلامِ هودٍ وَقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :
مَا يَقُولُ هُودٌ ؟ مَاذَا يُرِيدُ هُودٌ ؟ نَحْنُ لَا نَفْهَمُ كَلامَهُ !
قَالُوا : سَفِيهٌ أَوْ مَجْنُونٌ !
وَلَما دَعَاهُمْ هُودٌ مَرَّةً أُخْرَى ، قالَ أَشْرَافُ قَوْمِهِ :
« إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ » .
« قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ »
« أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ » .

(٨) حكمة هود

وَمَا زَالَ هُودٌ يَنْصَحُ لِقَوْمِهِ وَيَدْعُوهُمْ بِحِكْمَةٍ وَرِفْقٍ .
قَالَ هُودٌ يَاقَوْمِ أَنَا أَخُوكُمْ وَصَدِيقُكُمْ بِالْأَمْسِ ! أَلَا تَعْرِفُونَنِي ؟

يا إخوَانِي! لِمَاذَا تَخَافُونَنِي وَتَفِرُّونَ مِنِّي، إِنِّي لَا أَنْقُصُ مِنْ مَالِكُمْ شَيْئًا .

« يَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ » .

يَاقَوْمِ مَاذَا تَخَافُونَ إِنْ آمَنْتُمْ بِاللهِ ، وَاللهِ لَا تَفْقِدُونَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا إِذَا آمَنْتُمْ باللهِ !

بَلْ يُبَارِكُ اللهُ لَكُمْ فِي الرِّزْقِ وَيَزِيدُ فِي قُوَّتِكُمْ .

وَيَاقَوْمِ لِمَاذَا تَتَعَجَّبُونَ مِنْ رِسَالَتِي ؟ إِنَّ اللهَ لَا يُكَلِّمُ وَاحِدًا وَاحِدًا !

إِنَّ اللهَ لَا يُخَاطِبُ كُلَّ أَحَدٍ يَقُولُ لَهُ : افْعَلْ كَذَا ، افْعَلْ كَذَا !

إِنَّ اللهَ يُرْسِلُ إِلَى كُلِّ قَوْمٍ رَجُلاً مِنْهُمْ يُكَلِّمُهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ .

وَقَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ أُكَلِّمُكُمْ وَأَنْصَحُ لَكُمْ : « أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ » ؟

(٩) إيمان هود

وَلَمْ تَجِدْ عَادٌ جَوَابًا ! وَمَا عَلِمُوا كَيْفَ يُجِيبُونَ هُودًا ! .

وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا لَمَّا عَجَزُوا : قَدْ غَضِبَ عَلَيْكَ آلِهَتُنَا فَأَصَابَكَ مَرَضٌ فِي عَقْلِكَ !

وَقَدْ وَقَعَ عَلَيْكَ وَبَالٌ مِنَ الآلِهَةِ .

قَالَ هُودٌ : إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ لَا تَنْفَعُ أَحَدًا وَلَا تَضُرُّ !

وَإِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ حِجَارَةٌ لَا تَتَكَلَّمُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تَنْظُرُ !

إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ لَا تَمْلِكُ خَيْرًا وَلَا شَرًّا .

وَلَا تَمْلِكُ لِأَحَدٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا !

وَإِنَّكُمْ أَيْضًا لَا تَمْلِكُونَ خَيْرًا وَلَا شَرًّا !

وَلَا تَمْلِكُونَ لِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا !

إِنِّي لَا أُؤْمِنُ بِآلِهَتِكُمْ وَلَا أَخَافُهُمْ .

« إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ » .
وَلاَ أَخَافُكُمْ أَيْضًا « فَكِيدُونِى جَمِيعًا » .
« إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ » .
كلُّ شَىْءٍ تَحْتَ يَدِهِ ، وَلاَ تَسْقُطُ وَرَقَةٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ .

(١٠) عنـــاد عاد

سَمِعَتْ عَادٌ كلَّ ذٰلِكَ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا !
ضاعَتْ فِيهِمْ نَصِيحَةُ هُودٍ ! ضاعَتْ فِيهِمْ حِكْمَةُ هُودٍ .
وَقَالُوا يا هُودُ مَا عِنْدَكَ دَلِيلٌ وَلاَ بَيِّنَةٌ !
وَلاَ نَتْرُكُ يا هُودُ آلِهَتَنَا الْقَدِيمَةَ لِقَوْلِكَ الْجَدِيدِ .
أَنَتْرُكُ الآلِهَةَ الّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا آبَاؤُنا لِقَوْلِ قَائِلٍ ؟
أَبَدًا ، أَبَدًا .
وَيا هُودُ إِنَّكَ لاَ تُؤْمِنُ بِآلِهَتِنَا وَلاَ تَخَافُهُمْ .
فَإِنَّا لاَ نُؤْمِنُ بِإِلَهِكَ وَلاَ نَخَافُ عَذَابَهُ .
وَإِنَّنَا نَسْمَعُكَ كَثِيرًا تَذْكُرُ الْعذَابَ ، فَأَيْنَ هُوَ ياهُودُ ،
وَمَتَى يَجِىءُ .

قَالَ هُودٌ : « إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ » .
قَالَتْ عَادٌ : فَإِنَّنَا نَنْتَظِرُ ذَلِكَ الْعَذَابَ وَنَشْتَاقُ أَنْ نَرَاهُ .
وَتَعَجَّبَ هُودٌ مِنْ جَرَاءَتِهِمْ ، وَتَأَسَّفَ هُودٌ عَلَى سَفَاهَتِهِمْ .

(١١) العـــذاب

وَكَانَ عَادٌ يَنْتَظِرُونَ الْمَطَرَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَلاَ يَرَوْنَ قِطْعَةَ سَحَابٍ .
وَكَانُوا فِي حَاجَةٍ إِلَى الْمَطَرِ ، وَكَانَ لَهُمْ شَوْقٌ عَظِيمٌ إِلَى الْمَطَرِ ، ذَاتَ يَوْمٍ رَأَوْا سَحَابَةً تَأْتِي إِلَيْهِمْ ، فَفَرِحُوا جِدًّا .
وَصَاحُوا : هٰذِهِ سَحَابَةُ مَطَرٍ ! هٰذِهِ سَحَابَةُ مَطَرٍ .
وَرَقَصَ النَّاسُ فَرَحًا ، وَنَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَقَالُوا : سَحَابَةُ مَطَرٍ ! سَحَابَةُ مَطَرٍ !
وَلٰكِنَّ هُوداً فَهِمَ أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ جَاءَ .
وَقَالَ لَهُمْ هُودٌ : لَيْسَ هٰذَا سَحَابَ رَحْمَةٍ ، بَلْ هُوَ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ .

وَكَانَ كَذَلِكَ ، فَقَدْ هَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ مَا رَأَى النَّاسُ مِثْلَهَا ، وَمَا سَمِعَ النَّاسُ بِمِثْلِهَا .

وَهَبَّتِ الْعَاصِفَةُ فَالْعِيَاذُ بِاللهِ !

وَهَبَّتِ الْعَاصِفَةُ تَقْلَعُ الْأَشْجَارَ وَتَهْدِمُ الْبُيُوتَ وَتَحْمِلُ الدَّوَابَّ وَتَرْمِيهَا إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ .

وَطَارَتْ رِمَالُ الصَّحَرَاءِ وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا فَلَا يرَى الْإِنْسَانُ شَيْئًا .

وَدَخَلَهُمُ الرُّعْبُ فَدَخَلُوا بُيُوتَهُمْ وَأَغْلَقُوا أَبْوَابَهَا .

وَاعْتَنَقَ الْأَطْفَالُ بِالْأُمَّهَاتِ ، وَاعْتَنَقَ النَّاسُ بِالْجُدْرَانِ ، وَدَخَلَ النَّاسُ الْحُجُرَاتِ .

الْأَطْفَالُ يَبْكُونَ ، وَالنِّسَاءُ يَصِحْنَ ، وَالرِّجَالُ يَدْعُونَ وَيَسْتَغِيثُونَ .

وَكَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ :

«لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ»

كَانَ ذَلِكَ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ .

وَمَاتَ الْقَوْمُ فَكَانُوا كَأَشْجَارِ النَّخِيلِ سَقَطَتْ عَلَى الأَرْضِ وَكَانَ مَنْظَرًا غَرِيبًا جِدًّا ، النَّاسُ أَمْوَاتٌ يَأْكُلُهُمْ الطَّيْرُ ، وَالْبُيُوتُ خَرَابٌ يَسْكُنُهَا الْبُومُ .

وَنَجَا هُودٌ وَالْمُؤْمِنُونَ بِإِيمَانِهِمْ ، وَهَلَكَتْ عَادٌ بِكُفْرِهَا وَعِنَادِهَا .

« أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ، أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ » .

القصة الثالثة

ناقة ثمـــود

(١) بَعْـــدَ عادٍ

وَرِثَتْ ثَمُودُ عاداً كما وَرِثَتْ عادٌ أُمَّةَ نُوحٍ .

وَكانَتْ ثَمُودُ على أَثَرِ عادٍ ، كما كانَتْ عادٌ عَلَى أَثَرِ أُمَّةِ نُوحٍ

وَكَانَتْ أَرْضُ ثَمُودَ أَيْضًا أَرْضاً جَمِيلَةً خَضْراءَ ، فِيها بَساتِينُ وَعُيُونٌ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ .

وَكَانَتْ ثَمُودُ كَعادٍ فى العِمارَةِ وَالزِّراعَةِ وَفى كَثْرَةِ البَساتِينِ .

وَفاقُوهُمْ فى الْعَقْلِ وَالصِّناعَةِ ، فَكانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبالِ بُيُوتاً واسِعَةً جَمِيلَةً ، وَيَنْقُشُونَ فِى الْحِجارَةِ نُقُوشاً بَدِيعَةً. وَقَدْ لانَ لَهُمُ الْحَجَرُ بِعَقْلِهِمْ وَصِناعَتِهِمْ فَيَصْنَعُونَ بِهِ ما يَصْنَعُ الإِنْسانُ بِالشَّمْعِ .

وَإِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ مَدِينَتَهُمْ رَأَى عَجَباً ، رَأَى قُصُوراً عَظِيمَة كَالْجِبَالِ كَأَنَّمَا بَنَاهَا الْجِنُّ ، وَرَأَى أَزْهَاراً جَمِيلَةً فِي الْجُدْرَانِ كَأَنَّمَا أَنْبَتَهَا الرَّبِيعُ .

وَقَدْ فَتَحَ اللهُ عَلَى ثَمُودَ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَقَدْ فَتَحَ اللهُ عَلَى ثَمُودَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ .

جَادَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ بِالْأَمْطَارِ ، وَجَادَتْ لَهُمُ الْأَرْضُ بِالنَّبَاتِ وَالْأَزْهَارِ ، وَجَادَتْ لَهُمُ الْبَسَاتِينُ بِالْفَوَاكِهِ وَالْأَثْمَارِ ، وَبَارَكَ اللهُ لَهُمْ فِي الرِّزْقِ وَالْأَعْمَارِ .

(٢) كفران ثمود

وَلٰكِنَّ كُلَّ ذٰلِكَ لَمْ يَحْمِلْ ثَمُودَ عَلَى الشُّكْرِ وَعِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى .

بَلْ حَمَلَهُمْ ذٰلِكَ عَلَى الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ ؛ وَنَسُوا اللهَ وَفَرِحُوا بِمَا أُوتُوا وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً .

وَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْ قُصُورِهِمْ وَجَنَّاتِهِمْ أَبَدًا

وَظَنُّوا أَنَّ الْمَوْتَ لَا يَدْخُلُ فِي هٰذِهِ الْجِبَالِ وَلَا يَجِدُ إِلَيْهِمْ سَبِيلاً !.

لَعَلَّهُمْ كَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ أُمَّةَ نُوحٍ إِنَّمَا غَرِقَتْ لِأَنَّهَا كَانَتْ فِي الْوَادِي .

وَأَنَّ عَادًا إِنَّمَا هَلَكُوا لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي السَّهْلِ !.

وَأَنَّهُمْ مِنَ الْخَوْفِ وَالْمَوْت بِمَكَانٍ آمِنٍ .

(٣) عبادة الأصنام

وَلَمْ يَكْفِهِمْ هٰذَا ، بَلْ نَحَتُوا الْحِجَارَةَ وَعَبَدُوا الْأَصْنَامَ .

وَصَارُوا يَعْبُدُونَ الْحِجَارَةَ كَمَا كَانَتْ أُمَّةُ نُوحٍ تَعْبُدُهَا ، وَكَذَٰلِكَ عَادٌ .

إِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَهُمْ مُلُوكَ الْحِجَارَةِ وَلٰكِنَّهُمْ مِنْ جَهْلِهِمْ صَارُوا عُبَّادَ الْحِجَارَةِ .

إِنَّ اللهَ كَرَّمَهُمْ وَرَزَقَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ .

وَلٰكِنَّهُمْ أَهَانُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهَانُوا الْإِنْسَانَ .

« إنّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلٰكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهم يَظْلِمُونَ »

عَجَبًا ! إنّ الْحَجَرَ الَّذِى يَنْحِتُونَهُ بِأَيْدِيهِمْ فَلاَ يَأْبىٰ وَلاَ يَعْصِيهِمْ .

قَدْ خَضَعُوا لَهُ وَوَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ !

أَيَعْبُدُ الْقَوِىُّ الضَّعِيفَ ؟ أَيَسْجُدُ السَّيِّدُ لِعَبْدِهِ ؟

وَلٰكِنَّهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَأَبَوْا أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ فَأَذَلَّهُمُ اللهُ .

(٤) صالح

عليه الصلاة والسلام

وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يُرْسِلَ إليهِمْ رَسُولاً ، كَمَا أَرْسَلَ إِلَى أُمَّةِ نُوحٍ وَأَرْسَلَ إِلَى عَادٍ رَسُولاً .

إنّ اللهَ لاَ يَرْضَى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ ، إنّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ فى الْأَرْض .

وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ اسْمُهُ صَالِحٌ، وُلِدَ فِى بَيْتٍ شَرِيفٍ وَنَشَأَ عَلَى عَقْلٍ وصَلَاحٍ.

وَكَانَ وَلَداً نَجِيباً جِدًّا، وَكَانَ وَلَدًا رشِيداً جِدًّا، يُشِيرُ إِلَيْه النَّاسُ.

وَيَقُولُونَ: هٰذَا صَالِحٌ، هَذَا صَالِحٌ.

وَكَانَ لِلنَّاسِ فِيهِ رَجَاءٌ كَبِيرٌ، يَقُولُونَ: سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ، سَيَكُونُ لَهُ شَأْنٌ.

يَرَى النَّاسُ أَنَّ صَالِحًا يَكُونُ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَيَكُونُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ

وَيَرَونَ أَنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ قَصْرٌ جَمِيلٌ وَبُسْتَانٌ كَبِيرٌ.

وَيَرَى أَبُوهُ أَنَّ ابْنَهُ يَكْسِبُ بِعَقْلِهِ مَالاً عَظِيماً وَيَخْرُجُ فِى النَّاسِ.

يَخْرُجُ عَلَى فَرَسٍ وَوَرَاءَهُ الْخَدَمُ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ النَّاسُ وَيَقُولُونَ هٰذَا ابْنُ فُلَانٍ، هٰذَا ابْنُ فُلَانٍ!

وَكَمْ يَكُونُ سُرُورُهُ إِذَا سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَ إِنَّهُ سَعِيدٌ جِدًّا ، إِنَّ ابْنَهُ غَنِيٌّ جِدًّا .

وَلٰكِنَّ اللّٰهَ أَرَادَ غَيْرَ ذَلِكَ ، إِنَّ اللّٰهَ أَرَادَ أَنْ يُشَرِّفَهُ بِالنُّبُوَّةِ وَيُرْسِلَهُ إِلَى قَوْمِهِ ، لِيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ .

وَهَلْ فَوْقَ ذٰلِكَ شَرَفٌ ؟ وَهَلْ فَوْقَ ذٰلِكَ كَرَامَةٌ ؟

(٥) دعوة صالحٌ

وَقَامَ صَالِحٌ فِى قَوْمِهِ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

« يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ » .

وَكَانَ الْأَغْنِيَاءُ فِى شُغُلٍ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَكَانُوا فِى لَهْوٍ وَلَعِبٍ .

وَكَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَلَا يَرَوْنَ إِلٰهًا غَيْرَهَا ، فَمَا أَعْجَبَتْهُمْ دَعْوَةُ صَالِحٍ ، غَضِبَ أَغْنِيَاءُ ثَمُودَ وَقَالُوا : مَنْ هٰذَا ؟

قَالَ الْخُدَّامُ : هٰذَا صَالِحٌ .

قَالُوا : مَاذَا يَقُولُ ؟

قَالُوا : يَقُولُ : اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ ، وَيَقُولُ إِنَّ اللهَ يَبْعَثُكُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ وَيَجْزِيكُمْ .

وَيَقُولُ : أَنَا رَسُولُ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَى قَوْمِي .

ضَحِكَ الْأَغْنِيَاءُ وَقَالُوا : مِسْكِينٌ ! هَلْ يَكُونُ هٰذَا رَسُولاً ؟ مَا عِنْدَهُ قَصْرٌ وَلاَ بُسْتَانٌ ، وَمَا لَهُ زَرْعٌ وَلاَ نَخِيلٌ ! فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا رَسُولاً ؟

(٦) دعاية الأغنياء

وَرَأَى الْأَغْنِيَاءُ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَمِيلُونَ إِلَى صَالِحٍ فَخَافُوا عَلَى رِيَاسَتِهِمْ وَقَالُوا :

« مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ » .

« وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخٰسِرُونَ »

« أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ » .

« هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ »
« إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ »
« إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ »

(٧) قد أخطأ ظننا !

وَكَفَرَ النَّاسُ بِصَالِحٍ وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ .
وَلَمَّا وَعَظَهُمْ صَالِحٌ وَمَنَعَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ قَالُوا :
يَا صَالِحُ كُنْتَ وَلَدًا نَجِيبًا جِدًّا ، وَكُنْتَ وَلَدًا رَشِيدًا جِدًّا
وَكُنَّا نَظُنُّ أَنَّكَ سَتَكُونُ مِنْ كِبَارِ النَّاسِ وَأَشْرَافِهِمْ .
وَكُنَّا نَظُنُّ أَنَّكَ سَتَكُونُ مِثْلَ فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا
وَالَّذِينَ كَانُوا فِي سِنِّكَ ، وَكَانُوا دُونَكَ فِي الْعَقْلِ أَصْبَحُوا
رِجَالًا كِبَارًا .
وَأَنْتَ يَا صَالِحُ أَخَذْتَ سَبِيلَ الْفَقْرِ ؛ قَدْ أَخْطَأَ ظَنُّنَا
فِيكَ ، قَدْ خَابَ رَجَاؤُنَا فِيكَ .
مِسْكِينٌ أَبُوكَ ، مَا نَالَ خَيْرًا مِنْكَ .

مِسْكِينَةٌ أُمُّكَ ، لَقَدْ ضَاعَ تَعَبُهَا فِيكَ !
سَمِعَ صَالِحٌ كُلَّ هٰذَا وَتَأَسَّفَ عَلَى قَوْمِهِ ؛ وَإِذَا مَرَّ صَالِحٌ بِقَوْمٍ قَالُوا : رَحِمَ اللّٰهُ أَبَا صَالِحٍ لَقَدْ ضَاعَ ابْنُهُ .

(٨) نصيحة صالح

وَلَمْ يَزَلْ صَالِحٌ يَنْصَحُ لِقَوْمِهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللّٰهِ بِحِكْمَةٍ وَرِفْقٍ .
يَقُولُ : يَا إِخْوَانِي ! أَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ هُنَا إِلَى الْأَبَدِ ؟ .
أَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ تَسْكُنُونَ فِي هٰذِهِ الْقُصُورِ دَائِمًا ؟ .
أَتَظُنُّونَ أَنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ فِي هٰذِهِ الْبَسَاتِينِ وَالْأَنْهَارِ ؟
وَأَنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تَأْكُلُونَ مِنْ هٰذِهِ الزُّرُوعِ وَالْأَشْجَارِ ؟
وَأَنَّكُمْ لَا تَزَالُونَ تَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ؟
أَبَدًا ! أَبَدًا ! إِنَّ ذٰلِكَ لَا يَكُونُ ! إِنَّ ذٰلِكَ لَا يَكُونُ !
فَلِمَاذَا مَاتَ آبَاؤُكُمْ يَا إِخْوَانِي !
كَانَتْ لَهُمْ قُصُورٌ ، وَكَانَتْ لَهُمْ كَذٰلِكَ بَسَاتِينُ وَعُيُونٌ .

وَكَانَتْ لَهُمْ زُرُوعٌ وَنَخِيلٌ ، وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا يَسْكُنُونَ فِيهَا .

وَلٰكِنَّ كُلَّ ذٰلِكَ لَمْ يَنْفَعْهُمْ ! وَلٰكِنَّ كُلَّ ذٰلِكَ لَمْ يُغْنِهِمْ !

وَوَصَلَ إِلَيْهِمْ مَلَكُ الْمَوْتِ وَوَجَدَ إِلَيْهِمْ سَبِيلاً !

كَذٰلِكَ تَمُوتُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا وَيَبْعَثُكُمُ اللّٰهُ وَيَسْأَلُكُمْ عَنْ هٰذَا النَّعِيمِ .

(٩) ما أسألكم عليه من أجر

وَيَا إِخْوَانِي لِمَاذَا تَفِرُّونَ مِنِّي ؟ مَاذَا تَخَافُونَ ؟

أَنَا لَا أَنْقُصُ مِنْ مَالِكُمْ شَيْئًا ، أَنَا لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئًا .

أَنَا أَنْصَحُ لَكُمْ وَأُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي .

« وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعٰلَمِينَ »

وَيَا إِخْوَانِي لِمَاذَا لَا تُطِيعُونَنِي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ؟

وَلِمَاذَا تُطِيعُونَ الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَهُمْ ؟

وَالَّذِينَ يَفْجُرُونَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ !

وَعجزَ الْقَوْمُ وَلَمْ يَجِدُوا عَلَى ذٰلِكَ جوَابًا .
فقَالوا : « إنمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسحَّرِينَ . مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيةٍ إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ » .

(١٠) نَاقَةُ الله

قَالَ صَالِحٌ : وَأَىَّ آيةٍ تُرِيدُونَ ؟
قَالوا : إنْ كُنْتَ صَادِقًا فَأَخْرِجْ لنَا مِنْ هٰذَا الْجَبَلِ نَاقَةً حَامِلاً !
وَكَانَ النَّاسُ يَعْلَمُونَ أَنَّ النَّاقَةَ لَا تَلِدُهَا إِلَّا النَّاقَةُ .
وَأَنَّ النَّاقَةَ لَا تَنْبُتُ مِنَ الْأَرْضِ وَلا تَنْتِجُ مِنَ الْحَجَرِ .
وَأَيْقَنُوا أَنَّ صَالِحًا سَيَعْجِزُ وَأَنَّهُمْ سَيَنْجَحُونَ !
وَلٰكِنَّ صَالِحًا كَانَ قَوِيَّ الْإِيمَانِ بِرَبِّهِ وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .
فَدَعَا اللهَ صَالِحٌ ، وَكَانَ كما طَلَبَ النَّاسُ ، خَرَجَتْ مِنَ الْجَبَلِ نَاقَةٌ حَامِلٌ وَوَلَدَتْ .
وَتَحَيَّرَ النَّاسُ وَدَهِشُوا ، وَلٰكِنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ .

(١١) النـــوْبة

قَالَ صَالِحٌ : هٰذِهِ نَاقَةُ اللهِ ، وَهٰذِهِ آيَةُ اللهِ ! سَأَلْتُمْ فَخَلَقَهَا لَـكُمْ بِقُدْرَتِهِ .

فَاحْتَرِمُوا هٰـذِهِ النَّاقَةَ « وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ » .

وَإِنَّ هٰذِهِ النَّاقَةَ تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللهِ وَتَشْرَبُ وَتَأْتِي وَتَذْهَبُ ، وَلَيْسَ عَلَيْـكُمْ عَلَفُهَا وَمَاؤُهَا ، فَالْعَلَفُ كَثِيرٌ وَالْمَاءُ كَثِيرٌ .

وَكَانَتْ هٰـذِهِ النَّاقَةُ كَبِيرَةً جِدًّا وَغَرِيبَـةً فِي الْخَلْقِ ، فَـكَانَتْ مَاشِيَتُهُمْ تَخَافُهَا وَتَنْفِرُ مِنْهَا .

وَكَانَتْ كُلَّمَا جَاءَتْ تَشْرَبُ نَفَرَتِ الْمَاشِـيَةُ وَفَرَّتْ .

رَأَى صَالِحٌ ذٰلِكَ فَقَالَ : لِلنَّاقَةِ يَوْمٌ وَلِمَاشِيَتِـكُمْ يَوْمٌ .

فَيَوْمًا تَشْرَبُ هٰذِهِ النَّاقَةُ ، وَيَوْمًا تَشْرَبُ مَاشِيَتُـكُمْ .

وَكَذٰلِكَ كَانَ ، فَإِذَا كَانَتْ نَوْبَةُ النَّاقَةِ ذَهَبَتْ فَشَرِبَتْ .

وَإِذَا كَانَتْ نَوْبَةُ مَاشِيَةِ الْقَوْمِ ذَهَبَتْ فَشَرِبَتْ .

(١٢) طغيان ثمود

وَلٰكِن استَكبَرَ الْقَوْمُ وَطَغَوْا ، وَقَالُوا لِمَاذَا لَا تَشْرَبُ مَاشِيَتُنَا كُلَّ يَوْمٍ

وَضَجِرَ النَّاسُ مِنْ هٰذِهِ النَّاقَةِ الَّتِي تَنفُرُ مِنْهَا مَاشِيَتُهُمْ .
وَكَانَ صَالِحٌ قَدْ حَذَّرَهُمْ مِنْ أَنْ يُهِينُوا هٰذِهِ النَّاقَةَ ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَحْذَرُوا .

قَالُوا : مَنْ يَقْتُلْ هٰذِهِ النَّاقَةَ ؟

قَامَ رَجُلٌ وَقَالَ أَنَا !

وَقَامَ الآخَرُ وَقَالَ أَنَا !

وَذَهَبَ الشَّقِيَّانِ وَجَلَسَا يَنتَظِرَانِ خُرُوجَ النَّاقَةِ ؛
حَتَّى إِذَا خَرَجَتِ النَّاقَةُ رَمَاهَا الأَوَّلُ بِسَهمٍ ، وَنَحَرَهَا الثَّانِي فَقَتَلَهَا .

(٣) العـــذاب

وَلَمَّا عَلِمَ صَالِحٌ أَنَّ النَّاقَةَ قَدْ نُحِرَتْ تَأَسَّفَ وَحَزِنَ جِدًّا ؛
وَقَالَ لِلنَّاسِ : « تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ » .

وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رِجَالٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ؛

فَحَلَفُوا وَقَالُوا نَقْتُلُ صَالِحًا وَأَهْلَهُ فِي اللَّيْلِ ، وَإِذَا سُئِلْنَا نَقُولُ مَا عِنْدَنَا عِلْمٌ ؛

وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَفِظَ صَالِحًا وَأَهْلَهُ .

وَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ ؛ أَصْبَحُوا كَعَادَتِهِمْ فَإِذَا بِصَيْحَةٍ مَعَ زِلْزَالٍ شَدِيدٍ .

صَيْحَةٌ تَفَطَّرَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَزِلْزَالٌ تَهَدَّمَتْ مِنْهُ الْبُيُوتُ

وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ثَمُودَ شَدِيدًا .

وَمَاتَ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَخَرِبَتْ الْمَدِينَةُ .

وَهَاجَرَ صَالِحٌ وَالْمُؤْمِنُونَ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الشَّقِيَّةِ .

وَمَا يَصْنَعُونَ فِيهَا ؟

وَخَرَجَ صَالِحٌ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْمِهِ وَهُمْ أَمْوَاتٌ ، فَقَالَ بِصَوْتٍ حَزِينٍ :

« يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ » .

وَلَا يَرَى الْإِنْسَانُ الْيَوْمَ هُنَالِكَ إِلَّا قُصُورًا خَالِيَةً وَبِئْرًا مُعَطَّلَةً .

وَلَا يَرَى إِلَّا قُرًى مُوحِشَةً لَيْسَ فِيهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ .

وَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى دِيَارِ ثَمُودَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الشَّامِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ :

« لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ حَذَرًا مِنْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ »

« أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ » .

فهرست

الصفحة

الصفحة